

الجزء الثاني : النبوة
الدرس الحادي والعشرون

نظرة حول مسائل النبوة

- المقدمة .
- الهدف من بحوث هذا الكتاب .
- منهج البحث في علم الكلام .

المقدمة

علمنا مما سبق وتناولناه في الجزء الاول من الكتاب، أن المسائل الأساس التي يلزم على الانسان العاقل معالجتها، حتى يمكنه الوصول الى حياة انسانية يرتضيها العقل هي :

- ١ - من الذي أوجد الكون والحياة؟ ومن يتولى تدبيرهما وإدارتهما؟
 - ٢ - ما هو مصير الحياة، والمقصد النهائي للانسان؟
 - ٣ - مع ملاحظة الحاجة الملحة لكل إنسان لمعرفة الطريق الصحيح للحياة، ليصل - من خلال سلوكه - الى سعادته الحقيقية، وكماله المنشود، فما هي الوسيلة المضمونة لتحصيل هذه المعرفة؟ ومن الذي يحملها؟
- والجواب الصحيح عن هذه الأسئلة، يعبر عنه بالأصول الثلاثة (التوحيد، والمعاد، والنبوة)، التي تعتبر الأصول الرئيسة لكل الأديان السماوية.

وقد تطرّقنا في الجزء الأول من هذا الكتاب لدراسة مسائل التوحيد، وتوصلنا الى أن كل المخلوقات تستمد وجودها من الخالق الواحد، وجميعها في ظل تدبيره، ولا يمكن لأي أحد الاستغناء عنه في كل شيء، وفي كل عمل، وفي أي زمان ومكان.

وقد أثبتنا هذه المسائل بالأدلة العقلية^(١)، وأوضحنا أن هذه المسائل، لا يمكن إثباتها إلا عن طريق العقل، لأن الاستدلال التعبدي، والاستناد الى

(١) والاشارة الى بعض الآيات القرآنية خلال هذه البحوث ليست من أجل الاستدلال، وانما لغرض التذكير بالمواضع التي وردت فيها هذه المسائل في القرآن الكريم.

كلام الله، إنما يكون صحيحاً فيما إذا ثبت - بالدليل العقلي - مسبقاً وجود الله، وكلامه، واعتبار كلامه. كما أن الاستناد الى كلام النبي (ص) أو الإمام (ع)، يتوقف على إثبات نبوته أو إمامته، وحجية كلامهما، فلا بد - إذن - من إثبات أصل النبوة بالدليل العقلي.

أجل.. بعد إثبات أن القرآن الكريم على حق يمكن لنا أن نستنبط تفاصيل هذه المسائل، من هذا المصدر الإلهي، وكذلك يلزم إثبات تفاصيل المعاد من طريق الوحي، وإن كان أصل المعاد نفسه يمكن إثباته بالدليل العقلي، والدليل النقلي أيضاً.

إذن.. فمن أجل التعرف على مسائل هذين الأمرين (النبوة والمعاد) وبيانها يلزمنا أن نثبت - أولاً - أصل المعاد وأصل النبوة بالدليل العقلي، وبعد أن تثبت لدينا نبوة نبي الإسلام، وأن القرآن الكريم على حق؛ يمكن لنا التعرف على تفاصيل مسائل النبوة والمعاد من الكتاب والسنة وبيانها، ولكن بما أن الفرز بين مسائل هذين الأمرين أكثر تأثيراً في التعليم، وأقرب للفهم، لذلك نحن نقتدي بالمنهج التقليدي، ونبدأ - أولاً - بدراسة مسائل النبوة، ثم نبحث في مسائل المعاد، وإذا احتجنا في بعض المجالات والبحوث الى فكرة يلزم البحث عنها وإثباتها، فاننا نعتمدها في استدلالنا (كأصل موضوعي) ونوكل البحث عنها وعن إثباتها لموضعه.

الهدف من بحوث هذا الكتاب

الهدف الأول من بحوث هذا الكتاب هو: إثبات فكرة وجود وسيلة أخرى غير الحس والعقل، يتوصل - من خلالها - لمعرفة حقائق الوجود، والطريق الصحيح للحياة، بحيث لا تتعرض هذه الوسيلة للخطأ، وهذه الوسيلة هي (الوحي)، وهو نوع من التعليم الإلهي يختص به بعض عباد الله المصطفين والمنتجبين، ويجهل حقيقته وكنهه عامة البشر، ذلك لأنهم لا يرون نموذجاً ومثلاً له في أنفسهم، ولكن يمكنهم التوصل لوجوده من خلال آثاره وعلاماته، وبذلك يصدقون دعوى الأنبياء (ع) بتلقيهم للوحي الإلهي وبطبيعة

الحال، لو ثبت نزول الوحي على أحد، وأبلغ للآخرين رسالته، وجب على الآخرين قبولها، والعمل بموجبها، ولا يكون أي فرد معذوراً في مخالفته له، إلا إذا كانت الرسالة مختصة بفرد معين، أو جماعة معينة، أو لزمان خاص.

إذن.. فالمسائل الأساس لهذا الجزء هي: البرهنة على ضرورة بعثة الأنبياء، وصيانة الوحي من أي تلاعب وتشويه وتحريف، عمداً أو سهواً، حتى وصول محتوياته للناس، وبتعبير آخر: وجوب عصمة الأنبياء في تلقي الرسالة الإلهية وإبلاغها، وكذلك وجود طريق تثبت به للآخرين نبوة الأنبياء.

وبعد تبيان المسائل الأساس للوحي والنبوة بالدليل العقلي، نصل الى مرحلة البحث في المسائل الأخرى، أمثال تعدد الأنبياء، والكتب، والشرائع السماوية، وتحديد آخر الأنبياء، وآخر الكتب السماوية، وتحديد خلفائه وأوصيائه.

ولكن.. لا يتيسر إثبات كل هذه المسائل بالدليل العقلي، بل لا بد من الاعتماد في الكثير من مجالاتها على الأدلة النقلية والتعبدية.

منهج البحث في علم الكلام

تتضح ممّا سبق الفروق الرئيسة بين الفلسفة وعلم الكلام، إذ إنّ الفلسفة إنّما تبحث في المسائل التي يتم إثباتها بالأدلة العقلية، بينما يشمل علم الكلام، المسائل التي لا يمكن إثباتها إلا بالدليل النقلية والتعبدي.

وبتعبير آخر: إنّ النسبة بين مسائل الفلسفة، ومسائل علم الكلام هي (العموم والخصوص من وجه)، أي أنّه بالرغم من اشتغال الفلسفة وعلم الكلام على مسائل مشتركة بينهما، تثبت بالدليل العقلي، فإن لكل منهما مسائل خاصة به، إلا أن المسائل المختصة بالفلسفة تُطرح بالأسلوب العقلي، بخلاف المسائل المختصة بالكلام، حيث تثبت بالأسلوب النقلية والتعبدي، وبتعبير آخر؛ إنّ منهج البحث في علم الكلام (تلفيقي وثنائي).

ويمكن الاستفادة في هذا العلم من الأسلوب العقلي، ومن الأسلوب
التعبدى أيضاً.

والحاصل: هناك فرقان أساسيان بين الفلسفة وعلم الكلام:

الأول: إنَّ لكلَّ منهما - بالإضافة الى المسائل المشتركة - مسائل
يختصُّ بها، لا يُبحث عنها في العلم الآخر.

الثاني: إنَّ منهج البحث في مسائل الفلسفة جميعها منهج عقليّ،
بخلاف علم الكلام، ففي بعض مسائله (أمثال المسائل المشتركة بين الفلسفة
والكلام) يُستفاد من المنهج العقليّ، وفي مسائل أخرى، (أمثال مسائل
الإمامة) يُستفاد من الأسلوب النقليّ، وفي بعض مسائله يُستفاد من كلا
المنهجين (أمثال إثبات أصل المعاد).

وممَّا يلزم التأكيد عليه؛ أنَّ المسائل المختصَّة بعلم الكلام التي تثبت
بالطريق النقليّ والتعبدى، ليست كُلُّها في مستوى واحد، بل إنَّ بعضها يتمُّ
إثباته مباشرة بالآيات القرآنية الكريمة (بعد أن يثبت أنَّ القرآن الكريم على
حقٍّ بالدليل العقليّ)، أمثال حُجَّة قول الرسول (ص) وفعله (أي السُّنة)،
وبعد ذلك تثبت مسائل أخرى بالاعتماد على كلام الرسول (ص)، أمثال تعيين
خليفة النبيّ (ص) وحُجَّة أقوال الأئمَّة المعصومين (ع)، وأخيراً طرح مسائل
أخرى استناداً الى كلام الأئمَّة الأطهار (سلام الله عليهم أجمعين).

ومن البديهيّ أنَّ النتيجة التي نتوصَّل إليها من خلال الأدلَّة النقلية إنما
تكون يقينية قاطعة، فيما لو كان سندها قطعياً ودالاتها صريحة.

الأسئلة :

- ١ - لماذا بينا مسائل فصل التوحيد بالأسلوب العقلي فقط؟
- ٢ - ما هي المسائل الأساس لفصل النبوة؟
- ٣ - هل يمكن إثبات المسائل الأساس للنبوة والمعاد بالأدلة النقلية؟ وهل هناك فرق بين هاتين المجموعتين؟
- ٤ - أية مسائل من علم الكلام يمكن إثباتها بالأدلة النقلية؟
- ٥ - ما هو السبب في تقديم فصل النبوة على فصل المعاد؟ وهل هناك ترتيب منطقي آخر تنظم به مسائل هذين الفصلين؟
- ٦ - ما هي الفروق بين الفلسفة والكلام؟
- ٧ - كم قسماً يمكن تقسيم علم الكلام؟ اذكرها بالترتيب.

